مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٥/٦/٦

حتى لاتغلبنا الفرحة

كتب احسان عبد القدوس :

انى دائما ــ كما سبق أن كتبت ورددت ــ اخشى فرحتنا .. أخشى أن تستولى علينا الفرحة الى حد أن نعيش وكأن المشكلة كلها قد حلت وانتهت ، ثم نترك زغارید الفرح تشغل عقولنا عن الترقب والحذر وعن قياس الخطوة التالية التى تصل بنا الى تحرير كل الارض ..

وكلنا اليوم نعيش فى فرحة اعادة الحياة الى قناة السويس ، وقد بلغت بى الفرحة ــ مع ما عرف عنى من ضعف أعصابى ــ الى حد أنى اصبحت اخشاها .. اخشى فرحتى .. اخشى أن أذهب الى مدن القناة وارى الناس وقد عادوا الى بيوتهم ، واحس بالحياة الشعبية تعود وتدب فى الشوارع ، والمح المراكب تسبح فى المياه .. ارى واحس بكل ذلك فتغلبنى دموعى .. دموع الفرح .. وانهار كالعاشق الذى عادت حبيبته الى الحياة بعد أن خيل اليه انها ماتت .. وربما لهذا اجلت زيارتى للقناة الى ان اصبح أقوى من فرحتى ..

وما يجب أن لا ننساه فى فرحتنا هو اننا اعدنا الحياة الى القناة بالقوة لا بالاتفاق .. قوة الحرب لا الاتفاق السياسى .. وكل شبر من الارض هناك مخضب بدمائنا وهذه المياه الهادئة نزفت من عروق ابنائنا .. وربما كان هذا فيه مايؤكد فرحتنا .. فرحة الاحساس بالقوة ، والزهو بالكيان المصرى .. ولكن هذا ايضا يحملنا مسئولية اكبر ويحتاج الى مزيد من التركيز فى انتظار القرار التالى الذى يمكن أن تتخذه القيادة ، فاننا لم نصل بعد الى بقية ارضنا التى يحتلها العدو ، فكيف نصل اليها .. بالقوة ام بالاتفاق ؟

ان الاحتمالات التى كانت تحيط بنا قبل ان نسترد القناة اى قبل ٦ اكتوبر ، هى نفس الاحتمالات التى تحيط بنا اليوم .. **احتمال استعمال القوة ، واحتمال الاتفاق السياسى** .. وكل من الاحتمالين لا يمكن أن ينتهى الى واقع الا بالوصول الى الارض المحتلة ..

اى ان الحرب تعتبر هزيمة اذا لم نصل بها الى الارض، والسياسة ايضا تعتبر هزيمة اذا لم نصل الى الارض..

وكل التصورات التى كان يعيش فيها الفكر السياسى العالمى تحاول اسرائيل اليوم ان تعيد اطلاقها .. فقد كان العالم كله يتصور قبل ٦ اكتوبر اننا لن نحارب ابدا ، وأن كل اعتمادنا كان على محاولة الوصول الى اتفاق سياسى .. ولاننا لن نحارب فاننا لا نستحق الاتفاق السياسى .. وعندما اصدر انور السادات قرار الحرب فوجىء العالم ، وكان الصدى المباشر لهذه المفاجاة هو أن مصر ستهزم قطعا فى ايام .. وعندما لم تهزم مصر وانتصرت فى المعركة الاولى كانت المفاجاة اكبر وادت الى أن بدا العالم يغير من تصوراته ويقيمها على اساس جديد ، وهو أن مصر يمكن ان تحارب ويمكن ان تنتصر فى الحرب ، وهو مانحاول اسرائيل اليوم أن تقاومه معتمدة على مايمكن ان يقنع العالم من حجج ، كحجة الخلافات بين الدول العربية بعضها وبعض ، وحجة مشاكل تسليح الجيش المصرى .. و .. و ..

ثم صدر القرار الثانى الذى حاولت ان تستغله اسرائيل ، وهو اعادة تعمير مدن القناة .. وقالت اسرائيل انه مادام الناس قد عادوا الى بيوتهم وهى بيرت تحت مرمى نيران اسرائيل فمعنى هذا أن مصر لن تعود الى الحرب .. ولكن العالم تذكر ان اسرائيل وصلت الى الضفة الشرقية للقناة معتمدة على نفس المنطق ، ولكن مدن القناة اخليت فى ايام لان مصر كانت مصممة على الاستمرار فى الحرب ..

ثم صدر القرار الثالث وحاولت اسرائيل ايضا استغلاله وهو قرار اعادة فتح القناة رغم ان القوات الاسرائيلية لا تبعد عنها الا بضعة كيلومترات ، ورغم أن القناة لا تزال تحت مرمى النيران الاسرائيلية ، ومعنى هذا ان مصر لا يمكن ان تعود الى الحرب .. ولكن الفكر العالمى عاد وتذكر ان مصر كما تملك حق اعادة فتح القناة تملك ايضا حق اعادة اغلاقها ..

والفكر العالمى يربط هذه القرارات الثلاثة

أحدها بالاخر .. قرار الحرب فى ٦ اكتوبر، وقرار اعادة تعمير مدن القناة ، وقرار اعادة فتح القناة ..

والفكر العالمى اصبح يقيس العقلية التى تتخذ هـذه القرارات بمقياس القدرة على الوصول الى الهدف ، وعدم اعتبار اى خطوة كخطوة نهائية قبل تحقيق هذا الهدف .. العقلية التى استهان بها العالم فترة الى أن عبرت القناة فى ٦ اكتوبر .. عقلية أنور السادات ..

واعادة فتح قنـاة السويس ليس مجرد اقامة خط دفاعى عسكرى كما سبق ان سجلت ، ولكنه خط دفاعى عالمى يضع العالم كله فى موقف الدفاع عن استمرار الحياة فى القناة حتى لا تضطر مصر الى اعادة وقف الحياة فيها ، والعـالم اصبح يقدر انه لن يطمئن الى هـذا الاستمرار الا اذا انسحبت اسرائيل من كل الارض التى اعتدت عليها ..

وربمـا لهـذا قررت اسرائيـل خفض قـواتها داخل سيناء ، دون ان يكون ذلك — فى تقديرى — خطوة الى الاستسلام ، انما اسرائيل — فى تقديرى ايضا — تهدف الى تحقيق أهداف سياسية منها :

① اثبات انها تتمسك بأن تنفرد باتخـاذ القرارات دون تدخل الولايات المتحدة ، حتى تؤكد شخصيتها المستقلة ، وقد فوجىء فورد وكيسنجر وهما فى سالزبورج بقرار اسرائيل خفض قواتها والانسحاب الى الممرات ..

② محاولة اقناع دول العالم بأنها ترعى مصالحها وتحرص على تحقيق سـلام المرور فى القناة فتتركها بعيدة عن مرمى نيرانها ، عسى أن يكتفى العالم بذلك فيخفف من ضغطه عليها ولا يطالبها بانسحاب كامل الى ان تتمكن من اعتداء جديد ..

③ ممارسة ما يطلق عليه المعلقون الدبلوماسيون تعبير « المرونة » ، وقـد كانت اسرائيل متهمـة بالتصلب فيما تحاول فرضه وبالعنـاد القـائم على الغرور ، فارادت ان تثبت انها يمكن ايضا أن تكون مرنة فى مواقفها بسحب قواتها فى مقابلة اعادة فتح القناة ، ولكن هذه المرونة ستبقى خاضعـة للعقليـة الاسرائيلية الاستغلالية كعقلية أى تاجر يهودى ، اى مرونة اسرائيلية فى مقابل مرونة مصرية اوسع ..

والنتيجة ..

اننا ـ ومع اعادة فتح القناة ـ لا نزال نعيش فى غابة تضم كل الاحتمالات .. واذا كنا اليوم نمر فى مرحلة التحرك السياسى العالمى ، فان هذه المرحلة ـ فى تصورى ـ اشبه بمائدة للعب القمار ، ولعب « البوكر » بالذات ، يجلس حولها كل اشخاص القيادات العالمية والمحلية المسئولة ، وكل منهم لا يعلم حقيقة مافى يد الاخر من اوراق اى من نيات ، وكل منهم لا يعلم من سينتهى بالاستيلاء على الصفقة ، وكل منهم يقدر ان الاخر يمكن ان يغش فى اللعب .. ولكن ورقة واحدة يخشى الجميع ان تلقى على المائدة ، ويحاولون ان تنتهى اللعبة قبل أن تلقى .. ورقة الحرب ..

و ...

انى اقول كل هذا الكلام حتى اخفف من فرحتى باعادة فتح القناة ، وحتى لا تغلبنى الفرحة على تقدير اننا لم نصل بعد الى كل ارضنا □